

## خطأ العقلاء

من مقالات الاستاذ الامام في جريدة الوقائع المصرية وفيها تعريض بالمرابين  
 كتبها في العدد ١٠٧٩ الصادر في ٥ جمادى الاولى سنة ١٢٩٨ - ٤ أبريل سنة ١٨٨١  
 ان كثيرا من ذوي القرائح الجيدة اذا كثروا من دراسة الفنون الادبية  
 ومطالعة أخبار الامم وأحوالهم الحاضرة تتولد في عقولهم أفكار جلية وتنبثق في  
 نفوسهم همم رفيعة تندفع الى قول الحق وطلب الغاية التي ينبغي ان يكون العالم  
 عليها واكتسبوا هذه الافكار وحصلوا تلك المهمم من الكتب والأخبار  
 ومعايشة أرباب المعارف ونحو ذلك تراهم يظنون أن وصول غيرهم الى الحد الذي  
 وصلوا اليه وسير العالم بأسره أو الامة التي هم فيها بتامها على مقتضى ما علموه هو  
 أمر سهل مثل سهولة فهم العبارات عليهم وقريب الوقوع مثل قرب الكتب من  
 أيديهم والالفاظ من أسماعهم فيطلبون من الناس طلباً حاثاً ان يكونوا على  
 مشاربهم ويرغبون ان يكون نظام الامة وناموسها العام على طبق أفكارهم وان  
 كانت الامة عدة ملايين وحضرات المفكرين أشخاصاً معدودين و يظنون ان  
 أفكارهم العالية اذا برزت من عقولهم الى حيز الكتب ولدقاتر ووضعت أصولا  
 وقواعد لسير الامة بتامها ينقلب بها حال الامة من أسفل درك في الشقاء الى  
 أعلى درج في السعادة وتبديل العادات وتحويل الاخلاق وليس بين غاية النقص  
 والكمال الا ان ينادى على الناس باتباع آرائهم  
 تلك ظنونهم التي يمدحهم بها معارفهم المكتسبة من الكتب والمطالعات  
 وإنهم وان كانوا أصابوا طرفاً من الفضل من جهة استقامة الفكر في حد ذاته  
 وارتفاع الهمة وانبعثت الفيرة لكنهم أخطأوا خطأ عظيماً من حيث انهم لم  
 يقارنوا بين ما حصلوه وبين طبيعة الامة التي يريدون ارشادها ولم يختبروا قابلية  
 الاذهان واستعدادات الطباع الانقياد الى نصائحهم واقفاء آثارها ولو أنهم  
 درسوا طبائع العالم كما درسوا كتب العلم ودققوا النظر في سطور أخلاقه وعاداته  
 الحقيقية الواقعية التي اقتضتها حالة وجوده بل لو قارنوا بين الحوادث المسطرة في  
 (المنار ج ٨) (٧٥) (المجلد التاسع)

الكتب وتبينوا كيفية انتقال الامم من بداياتها الى نهاياتها لمواث الامم في  
أحوالها العمومية كالأشخاص في أحوالها الخصوصية بل ان الأحوال العمومية هي  
عبارة عن مجموع الأحوال الخصوصية وليست الأمة مثلا الا بمجموع أفرادها وليس  
حال الهيئة المركبة من تلك الأفراد الا بمجموع أحوالها الفردية

فلي من يريد كمال أمة بنهايتها ان يقدر ذلك بكامل كل فرد منها ويسلك  
في تكميل العموم عين الطريق التي يسلكها تكميل الواحد . هل يسهل على صاحب  
الفكر الرفيع ان يودع في عقل الطفل الرضيع أو الصبي قبل رشده وقبل ان يتعلم  
شيئا من مبادئ العلوم تلك الأفكار العالية التي نالها بالجد والاجتهاد وكثرة  
المطالعات ؛ كلابل لو أراد ان يجعل شخصا من الأشخاص على مثل فكره احتاج  
الى ان يبدأ بتعليمه القراءة والكتابة ثم مبادئ الفنون السهلة التحصيل ثم يتدرج  
به شيئا فشيئا حتى ينتهي بعد سنين عديدة الى بعض مطالبه ثم هو في خلال  
ذلك محتاج الى ان يحمى أعماله ويقيدها بقيود من الرغبة والترهيب وان يراقب  
حركاته في أعماله خوفا من اختلاطه بفاسدي الاخلاق والأفكار أو المائلين الى  
الكسالة والبطالة أو ورود موارد الشهوات ونحو ذلك من الملاحظات التي لا بد  
منها فان اختل شيء من الترتيب في التعليم بأن قدم الاصب على الاسهل مثلا  
أو أهل ملاحظة أعماله وأحواله اختلت الرؤية وذهبت الاعتاب سدى واستحال  
صيروته حال ذلك الشخص مماثلة لحالة مرشده

ولو انه أراد تحويل أفكار شخص واحد وهو في سن الرحولية هل يمكنه  
ان يبدلها بغيرها بمجرد إلقاء القول عليه كالأب الذي تمكن في العقل أزمانا  
لا يفارقه الا في أزمان فلا بد لصاحب الفكر ان يجتهد أولا في ازالة الشبه التي  
تمسك بها ذلك الشخص في اعتقاداته وذلك لا يكون في آن واحد ولا بمباراة  
واحدة ولكن بمباراة مختلفة في التقريب بعضها سهل المأخذ قريب المثال  
والبعض أرقى منه وبعضها خطابي والآخري برهاني وما شابه ذلك فان لم يتخذ  
تلك الوسائل في ارشاده امتنع عليه مقصوده بل ربما جرّه نصحه الى الضرر  
بنفسه . تلك هي الحالة المشهورة التي لا ينكرها أحد ثم ان نجاحه في تغيير فكر واحد

مع كل هذا الاجتهاد موقوف على ان صاحب ذلك الفكر الفاسد لا يعاشر ولا يخالط في خلال تعلمه الا مرشده صاحب الفكر السليم فان كان يخالط غيره ممن يؤيد فكره الاول طال الزمن وربما لم يجمع فيه الارشاد وأظن (أن) هذا يعترف به كل من مارس الاخلاق والمعادن

ان كان هذا حال شخص واحد اذا أردنا اصلاح شأنه في صفه أو كبره مع انه سهل ضبط أعماله وأحواله والوقوف على كنهه أوصافه ودرجات تقدمته في المقصود وتأخره فيه فما ظنك بحال أمة من الأمم تختلف عناصرها وتباين شعوبها فمن الخطأ بل من الجهالة ان تكلف الأمة بالسير على ما لا تعرف له حقيقة أو يطلب منها ما هو بعيد عن مداركها بالكلية كما انه لا يليق ان يطلب من الشخص الواحد ما لا يعقله أو ما لا يجد اليه سبيلا

وانما الحكمة أن تحفظ لها عوائدها الكلية المقررة في عقول أفرادها ثم يطلب بعض تحديدات فيها لا تبعد منها بالمرّة فإذا اعتادوها طلب منهم ما هو أرقى بالتدريج حتى لا يمضي زمن طويل الا وقد انحلوا عن عاداتهم وأفكارهم المنحطة الى ما هو أرقى وأعلى من حيث لا يشعرون أما اذا وضع لهم من الحدود ما لم يصلوا الى كنهه أو كفوا من العمل ما لم يهدوه أو خولوا من السلطة ما لم يعودوه رأيتهم يتخبطون في السير خلفاء المقصود عنهم وضلال الرأي فيما لم يكن يمر على خواطرم فيمكن أن يخرجوا عن حالتهم الأولى لكن الى ما هو أتمس منها بحكم الاستعداد القاضى عليهم بذلك

مثلا اننا نستحسن حالة الحكومة الجمهورية في أمريكا واعتدال أحكامها والحرية التامة في الانتخابات العمومية في رؤساء جمهورياتها وأعضاء نوابها ومجالسها وما شا كل ذلك ونعرف مقدار السعادة التي نالها الاهالي من تلك الحالة ونظم ان هذه السعادة انما أتت لهم من كون أفراد الأمة هم الحاكمين في مصالحهم بأنفسهم لانهم أرباب الانتخاب وانما رؤساء الجمهوريات وأعضاء المجالس نواب عنهم في حفظ تلك المصالح والحقوق التي رأوها لانفسهم وتشوق النفوس الحرة ان تكون على مثل هذه الحالة الجليلة لكننا لانستحسن ان تكون

تلك الحالة بيننا لأفغانستان مثلاً حال كونها على ما نهد من الخشونة فإنه لو  
فوض أمر المصالح إلى رأي الأهالي لرأيت كل شخص وحده له مصلحة خاصة  
لا يرى سواها فلا يمكن الاتفاق على نظام عام ولو طلب منهم أن ينتخبوا مائة  
نائب مثلاً لرأيت كل شخص ينتخب صاحباً له أو نسيباً أو قريباً فربما ينتخبون  
آلآفاً مؤلفة ثم لا ينتهي الانتخاب إلى المرغوب أصلاً لوقوف كل واحد عند  
انتخابه الأول ولو وكل اليهم انتخاب رئيس للحكومة لانتخبت كل قبيلة رئيساً  
منها ثم يقع المهرج بين الرؤساء وهكذا حال الأمم التي تعودت على أن يكون  
زمامها بيد ملك أو أمير أو وزير يدير أعمالها بدون أن يكون لها دخل في رؤية  
مصالحها لا يمكن أن يطلب منها الدخول في أعمالها العامة والافسدت فإذا أردنا  
إبلاغ الأفغان مثلاً إلى درجة أمريكا فلا بد من قرون ثبت فيها العلوم وتمهيد  
المقول وتذليل الشهوات الخصوصية وتوسيع الأفكار الكلية حتى ينشأ في البلاد

ما يسمى بالرأي العمومي فعند ذلك يحسن لها ما يحسن لأمريكا  
وياعجبها هل الشخص الذي توارث الموائد عن آباءه وأجداده وممن عليها  
من مهده إلى كهولته وتعود تفويض مصلحته إلى إرادة غيره يصح أن يطلب  
منه في زمان واحد خلع جميع ذلك، ويلقى إليه زمام مصلحته وهو في جميع عمره لم  
يفكر فيها أن هذا خطأ ظاهر

ولكون أرباب الأفكار منا يرومون أن تكون بلادنا وهي كبلاد أوروبا  
وهي لا ينجمون في مقاصدهم ويضرون أنفسهم بذهاب أتعابهم أدراج الرياح  
ويضرون البلاد بجمل المشروعات فيها على غير أساس صحيح فلا يمر زمن  
قريب إلا وقد بطل المشروع ورجع الأمر إلى أسوأ مما كان فيهوت الزمان وهم  
على حالهم القديم وكان لهم إمكان أن يكونوا على أحسن منه فمن يريد خير  
البلاد فلا يسعى إلا في اتقان التربية وبعد ذلك يأتي له جميع ما يطلبه أن كان  
طالباً حقاً بدون اتعاب فكر ولا إجهاد نفس وفي الكلام بقية أذكرها فيما

وكتب في العدد ١٨٢

## كلام في خطأ العقلاء

تولى أمر هذه البلاد (المصرية) أناس في أزمنة مختلفة تظاهر كل منهم بأنه يريد تقديمها ونقلها من حالة الهمجية (على ما يزعم) إلى حالة التمدن التي عليها أبناء الأمم المتقدمة وجمالوا الوسيلة إلى ذلك أن تنقل عادات أولئك الأمم المتدنين وأفكارهم وأطوارهم إلى هذه البلاد وظنوا أن تقليدنا لمآداتهم وأخذنا الآن بأفكارهم اليومية وتشبهنا بهم في الأطوار كاف في أن نكون مثلهم وأن استلما لتلك العادات وتلقينا لتلك الأفكار أمر غير عسير

لم ينظروا في الأسباب والوسائل التي توصل بها أولئك الأمم إلى هذه الحال التي هم عليها حتى يتسودوا مثلها أو قريباً منها ليرقي هذه البلاد بل ظنوا أن هذه الغاية من الممكن أن تكون بداية مع أن ما نرى عليه جيراننا من الممالك الغربية لم يصلوا إليه إلا بعد معاناة أتعاب ومقاساة مشاق وسفك دماء شريفة وثل عروش ملك رفيعة وكانوا في كل ذلك يقربون من المقصود تارة ويعدون عنه أخرى كما يرشدنا إليه تاريخهم حتى بدلت الحوادث الدهرية طبائع الأهالي وغيبت أخلاقهم ونهبت الضرورات أفكارهم وهذبت المخالطات الجهادية والتجارية عقولهم أن بداية التقدم الأوربي في الحقيقة كان في نفوس الأهالي وأفراد الرعايا علمتهم الحروب الصليبية سبر البر والبحر وخالطوا فيها الأمم الشرقية أجيالاً وطمحت أنظارهم لمغالبتهم فدققوا في سبب قوة الشرقيين (التي كانت لهم إذ ذاك) وبحثوا في أحوالهم فأروا لهم عادات جميلة وفيما بينهم أفكار سامية ورأوا في دوائر أعمالهم انشاعاً وأيدي الصناعة والاكتساب مطلقة الحرية ولذلك كانت الفنى والمزموكرات أقطارهم فاخذ أهالي أوربا عند ذلك في تقليدنا لكن لاني البهارج والزخارف بل في أسبابها والموصلات إليها وهي توسيع نطاق الصناعة والتجارة ونحوها من وجوه الكسب فكان ذلك أساساً للعمل وقسر في النفوس وثبت في العقول وبنوا عليه ماشاءوا ولو تأملنا تاريخ سبر التقدم الأوربي لرأينا

أسباب التقدم بجمعها سبب واحد وهو احساس نفوس الاهالي بالآلام صعبة الاحتمال من ظلم الاشراف (النبلاء) وغدر الملوك وضيق وجوه الاكتساب ونفوة دينية على المسلمين الذين استولوا على حرمهم المقدس وهذا الاحساس هو الذي دعا الانفس الكثيرة المدد الى الخروج من هذه الآلام فطلبوا لذلك أسبابا متنوعة أقواها التعاضد والتعاون على ترويض وسائل الكسب وافتتاح أبواب الرزق فكانت تمعد لذلك المحالفات والمعاهدات وتأنف له الجماعات فكان جرثومة تقدمهم أمرا منبثا في غالب الافراد ومحرضا في أغلب انمقول وهو نشاط الاهالي في اجتلاب الثروة وطلبهم لحرية العمل لينالوها ورفضهم لتلك القيود التي كانت تمنعهم من طلب حقوقهم الطبيعية ثم تدرجوا فيه ينتقلون من حال الى حال والاصل ثابت لا يتغير حتى عم التغيير جميع الموائد والمشارب والقوانين ولم يكن ذلك كله الا من حرص الاهالي أنفسهم على الخروج من الآلام التي كانوا يشعرون بها في كل لحظة من حياتهم ويتوارث هذا الشعور وذلك الحرص أبناءهم من بعدهم

أما عقلاؤنا فقد وجهوا نظرهم الى حالة التمدن الحاضرة والاهالي على غير علم منها بانقسم فاستلغفهم العقلاء اليها لكن لا تشعر بك غيرتهم الى العمل اختيارا أو الجأتهم اليه اضطرارا وتسهيل الطرق لهم حتى يسير من جميع عناصر البلاد وطبقاتها اشخاص مختلفون في الافكار والاحوال الى تلك البلاد المتعدنة ويشهدوا عاداتها واحوالها ويستم العقلاء منهم بالبحث عن أسباب السعادة وموجبات الشقاء اهتمام المضطر الذي يطلب خلاص نفسه من هلاك يتوقفه بل جلبوا اليهم كثيرا من أبناء تلك البلاد تظهر عليهم الرفاهية وترى عليهم آثار النعمة يتكلمون بما لا يفهم ويفكرون فيما لا يعقل فسادوا بيتنا بنية وزينوها بما لم تكن نهده من أنواع الزينة وجلبوا اليها من مصنوعاتهم ما راق منظره وطاب مقبوره لكننا لم نشهد مصنعه ولم ندر منبعه ورأيناهم يترنون بهذه اللطائف التي تذهب الحزن ونشرح الخواطر ويتنافسون فيها فاعجبنا حالهم هذه وقال لنا العقلاء كونوا مثلهم والحقوا بهم في هذه السعادة ثم صاروا أئمة لنا في العمل فاخذنا تشبه بهم لكن فيما رأينا وهو الزينة والبهرجة

غير باحثين عن كون ذلك هو الذي يلحقتنا بهم في الحقيقة أم لا ومن ذلك ترى أفكار الغالب ما دائما عند ما يجد فرصة الاقتدار موجهة الى تشييد الابنية وتيجو به وضما واتقان ترتيبها وتزيين بواطنها وظواهرها والتوسع في لوازم المأكل والمشرب والآلاتها وأوانيها والتفنن فيها وجلب ما هو أغلى ثمننا وأدخل في انظر وأجلب للأنس والتأنق في الملابس ومحاذاة الاوربيين فيها ومحاربة ان تكون على النمط الاعلا عندهم وعلى هذا النحو تفننا في أنواع المفردشات وتأقنا في اقتنائها من أنواع مختلفة مما غلا ثمنه وارتفعت عن الطاقة قيمه وتنافسنا في ذلك كتنافس أسلافنا في اقتناح البلاد وتملك الحصون وبالجملة فقد ساكنا مساكن المتدينين في ثمرات تمدنهم التي جعلوها من زوائدهم فاسرفنا في الانفاق وصار الناظر للابننا ومساكنتنا والذائق لمطاعمنا ومشاربنا يشهد باننا في ذلك بحمد الله متمدون فقد اشركنا معهم في ثمرات التمدن أي ما ينتهي اليه حال التمدن من طلبه للتمتع بالذائذ وركونه لترويح النفس وتخفيف أتعابها

لكن من تأمل حقيقة الامر علم ان مثلنا في ذلك كمثل الحاجة رأيت ان الازرة تبيض ببيضا كبيرا فطلبت ان تبيض مثلها فأجهدت نفسها في ان يكون ذلك غير عارفة ان ذلك لا يكون الا باستمداد (أي بأن تكون أوزة) فحسبت نفسها واستعملت قوتها الدافعة حتى انشقت منها ما انشقت وتمزقت منها ما تمزقت فان افراطنا في تقليد الاوربيين ومجاراتهم في عاداتهم التي نطنها تفوق عاداتنا البسيطة فعل في نفوس غالب الاغنياء منا فعلا غريبا صرف نظرهم الى الذائذ واستكمال لوازم الرف والنعم وأحدث في نفوسهم غفلة عما يحفظ ذلك عليهم بل يوجب ازدياده لديهم وهو الوقوف على الطريق المستقيم الموصل الى اكتساب المجد الحقيقي والشرف الذاتي الذي يتبعه الفنى والثروة والراحة المستتمة لأذة الحقيقة والنعم الباقي في الحياة وبعدها ومن هذه الجهة (جهة الغفلة عن روح الثروة وحياتها وهو التمدن الحقيقي أعني الاحساس بوجوه الذائذ والآلام والتشط في طلب وجوه الكسب المتنوعة وطلب الامنة على تلك الوجوه ومراعاة الحقوق والواجبات الطبيعية والشرعية) فارقوا الام التمدنة فصح ان يطلق عليهم أنهم

في غاية التمدن مع أنهم إما في بدايته وإما قبلها بكثير وحق لهم ذلك فإنهم رأوا  
أبواب اللذات مفتحة قبل أن يجدوا عقلاً يقدر لهم ما يلزم منها وما لا يلزم  
كل ذلك نشأ من جلب تلك الموائد الترفيية إلى بلادنا وطلب التحلي بها  
بدون أن نحوز ما يوصلنا إليها من أنفسنا وليتنا قبل أن نشيد بيوتنا بالارتفاع  
الشاهق والترتيب المحكم وزينها بأنواع النقوش والفرش والاثاثات أبقيناها على  
بساطتها وشيدنا في عقولنا الهم الرفيعة والحمية التي لا تمتد إليها الأيدي وأحكنا  
طرق سيرنا في حفظ حقوقنا ورتبنا في مداركنا جميع الوسائل والمعدات التي تحفظ  
علينا ما وجدنا وتجذب إلينا ما فقدنا وزينا نفوسنا بالفضائل الانسانية والشرعية من  
رحمة بالضعفاء ورفق باللهوفين وغيره على البلاد وأناة عن الضفار

لعمرك لو قدمنا هذه الزينة الجوهرية على ذلك الروتق الصوري لكان  
العالم بأسره ينظر إلينا نظر الراهب الخائف أو برمقنا باحظ المعظم المبجل وكانت  
مميشتنا البسيطة أوقع في نفسه من مميشته الرفيعة وكان ذلك سهلاً لو أن الزاعمين  
فينا حب الترقى والتقدم ساروا بنا من البدايات وحجبتونا عن النهايات حتى لا تراها  
إلا من أنفسنا فطلبها لئلا نأعجب النظر ولكن لأنها بنت الفكر وتيجته وكانوا  
يعلموننا محاذاة المتمدنين في أصول أعمالهم لاني زوائدها فكنا بذلك نصل إلى  
ما وصلوا إليه في زمن أقل بكثير من الزمن الذي قالوا فيه ما قالوا لكن فاق الوقت  
ونحن الآن فيه فعلينا بالعمل غير مقتصرين على مجرد الأمل

وكتب في العدد ١٠٩٢ الصادر في ١٩ أبريل سنة ١٨٨١

## كلام في خطأ العقلاء

لسنا ننكر أن بلادنا كانت في الأزمان السابقة تحت تصرف أقوام خشنين  
لا يعملون للخلة غاية إلا وجودهم الشريف وكانوا يعدون أفراد الأهالي انعاماً  
خلقت لهم يستعملونها كيف يريدون ( كما كان ذلك شأن سائر الأمم غربية  
وشرقية) فارتعموا أنف الطبيعة ومحو أنوار الألهام الفطري الذي وضعه الله في نفوس  
هباده لفهم منافهم ومضارهم حيث وقفوا سداً حصيناً بين كل شخص ومنافه

فما تثرؤوا بجميع ثمرات الاعمال فلا يعمل العامل وله أمل بأن يجني ثمرة عمله فانه عند ما تبدو الثمرة يسرع حاكمه الى قطعها وكانت حياته معقودة بنفض ذلك الحاكم ورضاه فان رضي عنه فهو في أمن عليها وان غضب عليه فهو ان عاش كمرضى بالغ به المرض غايته ينتظر الموت في كل لحظة فيكون في حالة تسليم مطلق (خائف على حياته مستسلم لتضام حاكمه) وبالجملة لم يكن لاحد من الاهالي حركة اختيارية ناشئة عن فكره الخاص به في تحصيل منفعة أو درء مضرة بل كانت أعماله تابعة لارادة سيده الحاكم وكان يعتقد أنه وما ملكت يده حل للأمر عليه وليس لتصرف ذلك الأمر حد يجب ان ينتهي اليه وهذه حالة يصمد بها تاريخ هذه البلاد اجيالاً كثيرة اذا استرسلنا في طلب مبدئها قد نصل اليه وقد لا نصل وبذلك الاسترقاق الظاهري والباطني فثبت الارادة ومات الاختيار وطفى نور الفكر بالمرّة

وكان من جهة القيود الفعيلة التي وضها أولئك المتسلطون الحجر على أهالي المدن وغيرها في الاعمال والاقوال الشخصية حتى كانوا من شدة التضييق يستعملون طريقه يقال لها الكبسة وهو ان يهجم رجال الضابطه على بعض الاماكن ليلا ليقبضوا على من يظن بهم الاجتماع على فسق كفضح بالنساء أو شرب للسكرات وما شا كل هذا فان وجدوا شيئاً من ذلك ساقوا من يجهنونه الى حيث يستوفى عقاباً ألياً وكذلك وضعوا في الافواه لجاماً من الرهبة فلا يكاد ينطق الناطق بكلمة في مطلب علمي أو تجادل في حال شخص الا ويرمي بكفر وزندقه أو طعن في حاكمه وله عند ذلك الويل الذي لا مخلص منه كل ذلك سمعنا به من بعضنا بالمرّة وراينا بعضه الآخر بالبيان

فذلك كانت حالة تعيسة يجب على عقلائنا ان يتحلوا كل وسيلة لتخليص رقاب العباد منها فرزق الله هذه البلاد باناس خالطوا الامم المتعددة وطالوا أحوالها ورأوا ما عليه أهلها من اطلاق الارادة وحرية الاختيار فطلبوا لبلادنا ان تكون في أحوال أهاليها الشخصية على مثال سكان تلك البلاد المتعددة لكنهم أول ما بدأوا به ان أباحوا (ما أقبحها من اباحة) لكل شخص ان يعمل فيما يخص

نفسه بإرادته ويتكلم فيما هو مقصود على ذاته بمقتضى فكره وشرطوا في ذلك شرطاً ( ماأنفسه من شرط ) وهو ان تكون تلك الاعمال والاقوال غير متعلقة بارتباطه مع حاكمه فان كانت كذلك فدونها ضرب الرقاب أو سكن الجبوس أو الجلاء عن الاوطان وسموا تلك الاباحة حرية ونادوا بها على الالسنه الظالمه فكان حاصل تلك الحرية ان لاجنح على من ارتكب أي جريمة وتطبع باي خلق حننا كان أو سيئا وذهب الى أي مذهب صحيحاً كان أو فاسداً وانما عليه ان يكون تحت أمر الحاكم ليس له حق في أن يمنع عنه مطالباً أو يستقضى منه مسلوباً أياً كان فلم يجملوا للسلطة حداً معيناً وهو الذي نسميه بالقانون الذي يعرفه كل أحد فيقف عنده بل أبقرها على ما كانت عليه وجعلوا تلك الحرية غطاءً على هذا الاستعباد فهم في الحقيقة لم يقدروا الامم المتمدة في اطلاق الارادة من جهة الارتباطات العمومية الثابتة فهذا خطأ من وجه ان كان لهم مقصد إصلاح وظلم ان كانوا متعمدين هذا التقييد ثم أنهم قلدوها في الاحوال الجزئية الشخصية مع علمهم ان البلاد غير معتادة على مثل هذه الحرية فيها فلذلك اندفعت الاس الى انتهاب الشهوات وهتكوا حرمة الوقار وهالكوا على شرب المسكرات في بلادنا الحارة الى الحد الذي لا يبلغه الاوربيون في بلادهم الباردة وكثرت لذلك الحانات ومخازن الشراب المهلك للعقول والابدان ثم تولعوا بما يتبع السكر من الهو والهلب وتنافسوا في الخطوة عند النساء الباغيات وانسع الامر في ذلك حتى صارت المداعبة والملاعبة بين النساء والرجال في الطرق والشوارع وتهدى ذلك المرض المهدي الى الحرائر فذهب الكثير منهن الى حيث يتقين وافنضحت بذلك بيوت شريفة وكماطلبت لذلك منماً أو رمت له دفناً قال المولح هذه حرية فضاع شأن الآداب وانحطت قيمة الشرف والوقار حيث أصبح أبناء الاغنياء وذوي المقامات ينساقون الى التهور في هذه الاحوال الرديئة ويدعون اليها من دونهم ومن فوقهم ( الا قليلا ) ويصرفون فيها مالا يقدر من التقود ( وسأجعل لذلك موضوعاً خاصاً ) وكاد فساد الاخلاق يسري الى كثير من طبقات الاهالي هذه فتأج حرية ذلك العمل

وأما نتائج حرية الفكر ( التي بزعمونها ) فكانت خاصة بالاعتقادات والمشارب الدينية فأخذ كثير من الناس يجهر بين العامة بألفاظ تناقض دينه الذي ولد فيه فان قيل له خفض من صوتك واجمل في قولك فما كل الناس يرضاه قال اننا في زمان الحرية على ان أفكاره التي يذهب اليها في مخالفة دينه ليست بأفكار مرتبة مبنية على مبادئ ربما يقال انه اتخذها مشرباً بل ألفاظ حفظها من معاشره لو سئل عن معناها أو طلب منه أي وهم ساقه اليها لعجز عن التعبير والتجأ الى التهموس ورمى من يخاطبه بالجهل والحشونة حيث لم يواقه على مشربه الفاسد ثم يتخذ هذه الخزعبلات الاعتقادية التي يظنها ثوراً وتبصراً ذريعة لاستباحة القبائح واستحلال المحظورات ولقد رأيت شخصاً ينكر ألوهية الخالق والعاذ بالله ثم يسأل عن حكمة المعراج ومنهم من ينكر النبوت ويعتقد بالشياطين وما أشبه ذلك فهو لاء من الجهل بمكان لا يعلوهم فيه حيوان فضلاً عن انسان فهذه الحرية البتراء التي رمانا بها عقلاؤنا لم تدع لها أرا يحمد وان كان الأورباويون يحرصون عليها فان استعداد بلادنا لم يكن ملائماً مثل هذا الاطلاق الذي هو في الحقيقة عين الرق والاستعباد فان الجاهل الذي لم يتعود على نصريف ارادته واعمال اختياره اذا أطلق له العمل وقع في أشد من الرق وأضر من العبودية نعم انه عتق من أسر الضابطة وغل الجزاء ولكن شهواته الخبيثة تبيمه بأبخس الأثمان الى الاسراف والبطالة والكسل وجميع أنواع الشرور وتودعه سجن الفقر ونقله بطوق النذل والمار ويايته تبي تحت سيادة القانون يسوسه حتى في أعماله الشخصية فالكبسة على ما كان فيها من الخطر على النفس والاموال وشناعة الصورة لو أحسن فيها القصد لكانت أولى وأفضل الى زمن تتقدم فيه التربية فيكون لكل شخص زاجر من نفسه فترقع الكبسة بناتها ويذهب الناس أحرارا بطبعمهم وما كان ذلك بصير ولا محتاج الى زمن طويل وما ضرنا الا التقليد على غير تبصر بحال البلاد واستعدادها فلك الحرية التي سموها اطلاق الفكر قد عنتت صاحبها من قيد العقل وأسلمته الى الجهل الأعمى فهو يتصرف به كيف ما يقتضي من المضرات ولو أنه

بقي تحت سيادة العقل يسوسه المهذبون ويقوده المتبصرون حتى يعلم من أين توتى  
الافكار وبأي الوسائل يوفى العقل حظوظه الحقيقية لكان ذلك خيرا وأبقى  
ولم يكن محتاج الا لتخفيف يسير في شغاعات المتعصبين وتعيين دائرة منتظمة  
يردد الكلام بين محيطها الى زمن معين حتى تستقيم العقول فتضرب لنفسها حداً  
تقف عنده ولكننا طلبنا ان نكون على مثال الاوربيين في عوائدهم حتى المضرة  
بأخلاقنا وأعمالنا وأفكارنا

وبالت العقلاء منا في الزمن السابق اقتدوا بالبلاد المتقدمة في الازمان السابقة  
عند إرادتهم تأييد الاستقلال حقيقة حيث بدأوا بالمجالس البلدية فكان يمكنهم  
ان يضعوا لأهل البلاد قانوناً بسيطاً ينطبق على عوائدهم وأحوالهم ويقرب فهمه  
من ادراكهم ثم يفوض الى أهل كل بلد ان ينتخب منها عدداً معيناً ليقوم  
بالفصل بينهم على مقتضى هذا القانون ثم يصنعوا مثل ذلك في المدن على حسبها  
ويذهب اشخاص من المارفين الى القرى والمدن ليشرحوا أوتلك مواد القانون  
السهل البسيط ويدبروهم على كيفية العمل به ثم لايزلوا على المراقبة ازماناً فلا  
تضي مدة حتى يكون جميع الاهالي عالمين بما يجب عليهم ولهم فتدو فيهم القوة  
ونحيا فيهم روح الاختيار كما كانت عليه الجمعيات ببلاد ايطاليا وفرنسا وغيرها  
في مبدأ تمدنها ثم يتدرجوا في القوانين الى أرقى مما وضعوا أولاً مع تفهيمه وتعليمه  
لجمهور الاهالي ليعلموه فيقفوا عند حده

وكان في ذلك غنية عن القوانين الضخمة التي لا يفهمها الا الراسخون في العلم  
وهي محفوظة بين دفات الكتب وصدور بعض من النبهاء لكن الاهالي أنفسهم  
الذين قد وضعت هذه القوانين لهم غير عالمين بها فكيف يطلب منهم ان يعملوا  
بمقتضاها ان هذا شيء عجاب غير ان العقلاء منا يقولون لا بد ان تكون مماثلين  
لأوربا في القوانين والمعادات رغماً عن الحق الذي يقضي علينا بأن نكون خاضعين  
لاحكام بقعنا وما تقتضيه طبيعة موقعنا الذي نشأنا فيه ولن يكون ذلك أبداً  
واننا نخشى لو تمادينا في هذا التقليد الاعمى واستمر بنا الأخذ بالانهايات  
الزائدة قبل البدايات الضرورية الواجبة ان تموت فينا أخلاقنا وعاداتنا وان

يكون انتقالنا عنها (لوانتقلنا) على وجه تقليدي أيضا فلا يفيد لكن الوقت لم يفت بعد فعلى من يريد بنا خيرا ان يذهب بنا طريقاً قوياً ولا أراه الا نشر القوانين (وان كانت طويلة صعبة المنال في وقتنا هذا وما لا يدرك كله لا يترك كله) انما لا يكتفي بنشرها على لسان الجرائد فان قارئها قليل ولا بارسال المنشورات الى عمد البلاد فان كثيرا منهم قلما يفهم اذا قرأ ولكن لا بد من تشكيل جمعيات في القرى والمدن لتفاهم القوانين واللوائح والمنشورات والاضاعت الحقوق وكثرت المشاكل وصب كبح صفار المأمورين عن الاجراءات المضرة بالحكومة والاهالي معاً ثم وضع حدود قوية للاعمال الشخصية والاخلاق والتصرفات فان اصلاح الاخلاق والافكار والاعمال من أهم واجبات البلاد وبدونه لا يمكن اصلاح شيء من أمورنا وليس بجائز أن يجعل في درجة أقل من درجة قوانين حفظ الضبط والربط ومركز النظر في جميع ذلك نباه البلاد وذو الشأن فيها فليتهم ان كأوا صادقين في الوطنية ان يبذلوا الجهد في طلب ذلك والقيام بما يلزم والاقامهم مقلدون فقط والله أعلم

وكتب في العدد ١٤٠٠ الصادر في ١٦ جمادى الثانية سنة ١٢٩٩ - ٤ مايو

سنة ١٨٨٢

## التمرن والاعتیاد

حصول صورة الشيء في النفس علم وميلها الى طلبه أو تركه ارادة والتصميم على أحد الأمرين عزم وليس بعده الا الطلب بالفصل أو التترك والتترك لا يحمل النفس كبير مشقة سوى الوقوف على كون المتروك من الامور التي تكلف بها النفس تكليفا ضرورياً أو كالياً كان من الامور المباحة أو المحظورة فإذا وقفت على حقيقته انصرفت عنه انصرفاً

أما الطلب فهو أحد الأمرين الذي يحمل النفس عن اثنين أحدهما يتعلق بها من جهة قوتها الفكرية والثاني من جهة القوة العملية المودعة في أعضاء البدن والاول مقدمة الثاني وسابق عليه ونسبته اليه لدى أر باب الحل والعقد ورجال النقد نسبة الأمرين التضامنين لا يوجد أحدهما بدون الآخر